ينابيع الحكمة

فضيلة الشيخ

عبد الحميد كشك



ينابيـــع الحكمــة

«يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب».

(صدق الله العظيم)

المؤلف : عبد الحميد كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انعم علينا بنعمة الاسلام وكفى بها نعمة واشهد ان لا إله إلا الله الملك الحق المبين أرسل رسوله بشريعة كالشمس فى ضحاها فبلغها للشعوب المتحضرة كالاستاذ العظيم وللشعوب البدائية كالوالد الرحيم جاء بأصول العقائد وشعائر العبادات ومبادىء الأحكام ومناهج السلوك وقواعد النظام ومالحق بالرفيق الاعلى الا بعد أن أنزل الله عليه اربع بشريات.

أولاها: اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون.

والثانية : اليوم اكملت لكم دينكم

والثالثة : وأتممت عليكم نعمتى.

والرابعة : ورضيت لكم الاسلام دينا.

نشهد يا رسول الله انك بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الأمة ومحوت الظلمة وكشفت الغمه وجاهدت فى الله حق جهاده حتى اتاك اليقين.

فجزاك الله عنا يا سيدى يا ابا القاسم يا رسول الله خير ما جزى نبيا عن امته ورسولا عن قومه وبعد/.

فإن الحكمة نعمة ينعم الله بها على من يشاء من عباده.
فسبحانه وتعالى يقول :
«يُؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أولى خير كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب».
والحكمة علم غزير وعمل صواب وحكم موفق.

وسبحان القائل :
«ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد» وقد أتت الحكمة بمعنى السنة النبوية كما فى قوله جل ذكره ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم».

وكما فى قوله جل جلاله.
لقد من الله على المؤمنين إذ بعث منهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين.

وكما فى قوله عظمت حكمته «يسبح لله ما فى السموٰات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذى بعث فى الاميين رسولا

منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين».

وقد منَّ الله تعالى على داود بقوله :

«وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء».

وبقوله :

وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب كما منَّ على يوسف بقوله.

ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين.

وعلى موسى الكليم بقوله

ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك يجزى المحسنين.

وقد سأل الخليل ربه قائلا «ربى هب لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم».

ومَنَّ على عيسى بقوله :

«أذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل.

فاللهم انا نسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء.

ونعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع.

فيا ابن آدم

اصبر على حلو الزمان ومره
واعلم بأن الله بالغُ امره
ما شاء ربك أن يكون فسوف لا
يتخلفن دقيقة عن وقته
ولكل حى فى الورى قدر يلاحقه
فلا إفلات من مقدوره
والله رب خالق ومقدر
يختار ما هو واقع فى ملكه
سلم أمورك للاله جميعها
ولترض إن حكم القضاء بحكمه

إن الله تعالى جعل الدنيا دار ابتلاء ليعلم الصابرين المجاهدين ويمحق الكافرين الظالمين أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين.

وهذه قصيدة عصماء تتجلى فيها العظمة الإلاهية والتوحيد الخالص.

تفـرد عِزٌّ وجهـى بالبقـاء
فما أعددت لى يوم اللقاء؟
عبيدى اننـى مولى الموالى
أما آن الدخولُ إلى حمائى؟
إلى كم انت تعرض عن جنابى
وليس لديك من مولى سوائى؟
أنا للعبد أرحم من أخيه
ومن أبَوَيْـه أبسط للعطـاء
أنا الله المدبر كل وقت
وتدبير الخلائـق فى هبـاء
أنا الأزلى قبل الخلق طرًّا
واظهرتُ الورى بعد إختفاء
فمن أنشأك من ماء مهين
وأنت بظلمة الأحشاء نائى؟
ومن سواك فى شكل بديع
على كل الخلائق باستـواء
اتذكر مضغة انشئت منها
باطـوار القـــذارة والقـــذاء

وقلتُ لها على التخصيص كونى
فكانت طوع أمرى بالنداء
اتذكر حين كنت ببطن أم
أما غذاك رزق فى الحشاء
وهل أحسست من حرج وضيق
كما احسست فى وسع القضاء
ومن ابدى لجسمك من مضيق
ومن بالأم يلطف فى القضاء
ومن اجرى اللبان بها غذاء
ومن ولاك انواع الغذاء
وألهمك الرضاع وانت طفل
وحننت الشفوقةَ من إباء
تزيل أذاك وَهْيَ بطيب نفسى
اذا تبكى تسارع بالبكاء
وان تدنو لك الأمراض يوما
وسمعت انينها من ذا العناء
وتمنع احسن المأكول عنها
لتأكله وترجو للشفاء

وفيك ابوك يصبح فى اجتهاد
ويمسى فى هموم مع شقاء
ويطلب إن تصح له دواما
ويرجو ان تخلد بالبقاء
وقد أنبت كالزرع ابتداء
وما تدرى لطعم أو سقاء
واحسنت القوى من محض فضلى
وصرت من الرجال الأقوياء
فغرك ثوبك الزاهى بجسم
ولم تذكر لشيب وانحناء
وَتِهْتَ من الشباب على جنابى
تنازعنى الرِّدا من كبريائى
بوجه لا يمل من المعاصى
وعين طرفها فى الاثم رائى
وآذان تصم لدى كلامى
وتسمع للملاهى والغناء
وأنف يأنف الفقراء دواما
ويرضى للغنى والاغنياء

لسانك لا يوالينى بذكر
وفى خلقى بمدح أو هجاء
وأيد لا تمد إلى حلال
ومـــا للحـــرام فبالنّمـــاء
وقلب ليس يذكرنى بخير
وفى شكرى وسخط ذو إجتراء
واقدام إلى الأهواء تسعى
وفى خير تقصر بانطواء
واعضاء نشيطـــات قيـــام
لشيطـــان وللمـــولى بداء
وهمتك العليـــة فى دنىء
وفى شرف تحط عن ارتقاء
وماذا تشتكى منى وانى
أواليك الكثير من العطاء
وكل دقيقة يأتيك رزقى
وتشكو للعبيد أو الإماء
وتعصينى واستر ما أراه
وتنسانى واذكـــر بالوفـــاء

وإذ أذنبت أمهل من جميلى
واستر ما يراه كل راء
وأنسيها ملائكـــة كرامـــا
لكى لا يشهدوا يوم الجزاء
وفضلى لا يزال إليك يجرى
وذنبك لا يزال على الولاء
وتعصينــى بليـل أو نهار
ووجهك لا يرد من الحياء
وتـأتى للعبـادة فى فتـــور
كأنك قد دعيت إلى البلاء
وإن أديتها جاءت بنقص
بما قد كان من شرك الرياء
إذا تخلو عن الاشراك فيها
تدبـر للامـــور بالألتقـــاء
ويا ليت التدبر في مُباح
ولكن فى المشقة والشقـاء
وتعجل خوف تأخير لشغل
كأن الشغل أولى من لقانى
وان كنت المصلى بين خلقى
اطـلت ركوعهـا بالانحنـــاء

وان كنت المجالس يوم أنثى
قطعت الوقت من غير اكتفاء
أعبدى لا اسواى معك انثى
تناجينى بحب أو صفاء
وان كنت المحدث كنت تهذى
بكل الفحش والقول الهراء
وتبصر للحرام بلا نكير
وللمخلوق تنظر بازدراء
وتقضى طول ليلك فى منام
وتقطع كل ليلك فى غذاء
تعوض كل ما يمضى بفطر
إلى ان ينتهى وقت العشاء
لفرض الحج لم تسمع لسعى
وآثرت القعود على الأداء
واين الطائف الساعى لبيت
كحج الانبياء والأولياء
وأن يأتى الفقير إليك يلقى
شحيح النفس يبخل بالعطاء

وان تسمح فيصحبها رياء

وتبطلهـــــا بمن أو قلاء

وان عاشرت أى الناس تلقى

بسوء الفحش أو غش الدهاء

وان تأتى الغنى تقول ارجو

قبــولى عنـده بالاحتفـاء

وان يهذى توافقه ابتساما

وان يخطىء فتسبلَ للغطاء

وان يقدم اليك يرى قبولا

وذو الفاقات مقطوع الرجاء

وأن يظلم فلا تمنعه يوما

وتتركــه يغالــط للــقضاء

وللارحـام تقطعهــا دوامــا

وللقرنـــاء تواصل للاخـــاء

وللابـــاء بخل وامتنــــاع

وللاعـداء بذل مع وفـاء

وللـجيران تضييــق وظلــم

ومع ضيفى تقابل بانـزواء

وان عدت المريض بأى وقت
فترجو للمحبة والسناء
وان تمش امام الميت تسعى
على عجل تصاحب للعزاء
وقبل الدفن تقعد فى ادكار
لميراث الضياع أو البناء
كأنك للخلود تعيش دهرا
وانت أحق منه بالالتقاء
ولن يرشدك من امسوا يتامى
بصيحات العويل او البكاء
وذات الحذر تمشى مع رجال
وتصبح فى الارامل والرثاء
وما يدريك من يرقى سريرا
سترقاه غدا أو فى المساء
وتدفن ثم تُنسى مثل هذا
كأنك لم تكن ضمن الإخاء
فمن يكفى عيالك غيرُ فضلى
ومن يكفل لأيتامٍ سوائى

ومن ترجو إذا أدخلت قبرا
وفارقك الرجال مع النساء
ولاقيت القبيح قبيل سوء
والغيبت الجميل بلا سناء
ووفـــاك المبشر أو نكير
لتسأل عن عذابى أو رضاء
فمن يجعله روضا من نعيم
ومن يشعله من نار الشقاء؟
ومن يجعله فى ضم شفوقا
كضم الأم فى حال الهناء؟
ومن يجعله يلوى فى ضلوع
فتختلف الضلوع من التواء؟
ومن يجمعك مع جار سعيد
ومن يحميك من جار البلاء؟
وكيف تكون يوماً فى تراب
إذا وطئتك أقدام الفنـاء؟
ومن معنا يقيك من المعادى
ويكرم فضل جسم فى الهباء؟

ومن معنا لدى حشر ونشر
ويجمع ما تشتت فى الهواء؟
ومن يكسو العباد وهم حفاة
عراة من قميص أو رداء؟
ومن عرقٍ يصيح الناس صرخا
ولو للنار من جهد البلاء؟
وكل يستغيث فلم يغثْهُم
سوى المختار فى فصل القضاء
حبيبى احمدٌ ياسين طه
شفيع المذنبين ومصطفائى
واكَرمُ من تُشَقُّ الأرضُ عنه
ويحشر بالمواكب والبهاء
ويحشر آدمٌ والرسْلُ طرا
وكل الأنْبيا تحت اللواء
وكل الانبياء تقول نفسى
واحمد لا ينادى من ورائى
وتكرم أمَّةٌ تبعته فينا
ولو بالذنب يملأ بالفضاء

ينادى امتى يا رب هذى
فهذى أمتى أقصى منائى
اناديه فسل تُعطى ابتهاجا
لأجلك رحمتى سبقت شقائى
وامتك الكـريمة خير ناس
لأجلك قد أبَحْتُ لهم رضائى
جعلتُهُمْ على خلقى شهوداً
لأنهُـمُ أتـــوْا فى الإنتهاء
وأحمد سوف أشهِدُه عليهم
وذلك حسبهم شرف انتماء
وناهيك الشهادةَ من حبيب
وعند حبيبهم فَصْلَ القضاء
وكل الخلق رهنُ الأمر قطعا
وإنى حيث شئتُ جرى قضائى
وها كالحوض خُصص من قديم
فمن يشرب يُسَرُّ بالأرتواء
وها خلدى تمتع ياحبيبى
فهذى الـدار دارٌ للبقـاء

وهاكضيافتى فاسمع كلامـى
وقرب من أشاء إلى حمائى
ورؤيـة وجهنـــا أعلى نعيم
فمن ينظرْ تَجَمَّلَ بالثنـاء
وهذى غاية فى الخير قصوى
فسبحانى آجِلّ عن انتهائى

صدقت يا رسول الله فقد قلت ان منْ البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة.

ــ قطــوف دانيـــة :

مع الأئمة الأبرار نطوف بتلك الرياض الباسمة والرُّبى الخضر ننشق نسيمها ونمتع النفس بشذى عبيرها الفواح ونملأ القلب بهجة وسرورا ونتفيأ ظلالها الوارفة الباسقة فمع الإمام ابى حنيفة رضى الله عنه نقول وبالله التوفيق الحمد لله الذى هيأ لهذه الأمة امرا رشدا وفتح أبواب المعارف أمام ورثة الأنبياء فاجتهدوا فى بيان الأحكام واستنبطوا من الكتاب والسنة أوامر الله ونواهيه وبذلوا الجهد واستفرغوا الوسع وأرشدوا وأخلصوا دينهم لله ومن أشهر هؤلاء الأئمة الفقهاء الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل هؤلاء من الذين أنعم الله عليهم فأقاموا قواعد الإيمان ودعوا العباد إلى عبادة الملك الديان فملؤوا

بعلـومهم الآفاق والبلدان وسارت بها الركبان إلى كل مكان.

أما أبو حنيفه فهو النعمان بن ثابت بن زوطى رضوان الله عليهم أجمعين ولد بالانبار سنة ثمانين ومات سنة مائة وخمسين وعاش سبعين سنة وكانت ولادته فى عصر الصحابة وتفقهه فى عصر التابعين.

جاء فى مناقب الصالحين أن رجلا كان يمشى بأحد شوارع الكوفة فوجد بستانا قد سقطت من احدى شجرة تفاحة خارج السور فأخذها وأكل نصفها ثم تذكر أن ليس له حق فيها فذهب بنصفها إلى حارس البستان واخبره ما حدث وسأله السماح فيما أكل فقال له الحارس أنا لا أملك هذا السماح لأنى حارس.

قال له الرجل فأين مالكه فدله عليه فذهب الرجل إلى مالك البستان واخبره الخبر فأعجب مالك البستانى بأمانة الرجل وصلاحه وتقواه واخلاصه لله قال له المالك : إن كنت تريد السماح منى فإن ذلك مشروط بشرط .. قال الرجل : وما هو قال : أن تقبل الزواج بابنتى .. فعجب الرجل .. ما هذا الفضل .. وما تلك النعمة قال مالك البستان : لا تعجب ولا تدهش فإن ابنتى صماء بكماء عمياء مقعدة.

فأخذت الرجل لحظة من الحيرة ولكنه قال فى نفسه ما در لو

تزوجتها اننى أكون بذلك قد عملت شيئا يرضى الله فى خدمتها وحسن الارعاء لها والقيام بشئونها.

قال للمالك على بركة الله ورسوله فقد قبلت زواجها وحضر الشهود وتم العقد وفى الليل قال مالك البستان للرجل لقد اعددت لك المسكن فادخل بها وبارك الله لكما فى ليلتكما ودخل الرجل بها فألقى عليها السلام وهو يعلم أنها صماء إن لم تسمع وترد فسوف ترد عليه الملائكة وإذا بها ترد السلام وتهب واقفة فيستولى عليه العجب فتقول له مالى أراك فى حيرة؟

فيقول لها : لقد اخبرنى ابوك بغير ما رأيت قالت وبم اخبرك؟

قال : اخبرنى بأنك صماء بكماء عمياء مقعدة وما رأيت من ذلك شيئا فيك القيت عليك السلام فسمعت ورددت ووقفت ورأيت قالت ما كذب أبى! إننى **صماء** عن الباطل لا أسمع الا ما يرضى ربى **عمياء** لا أرى ما يغضب خالقى **بكماء** لا أتكلم الا بالحق **مقعدة** لا أمشى بقدمى الا إلى ما يرضى الله.

قال الرجل : فدخلتُ بها فإذا هى العلم كله والفقه كله وإذا هى قطعة قمر قد كسا الله جمالها بالوقار ولقد رزقه الله منها مولوداً ملأ طباق الأرض علما وفقها ونشر لواء العلم على ربوع الكوكب الأرضى ورفع الله ذكره فى العالم العلوى والملأ الملائكى.

أن هذا الرجل الذى تزوج تلك الصالحه هو ثابت بن زوطى وان هذا المولود الذى رزقه الله منها هو الامام ابو حنيفة النعمان بن ثابت وقد صدق الله إذ يقول «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه».

وكان ثابت رضى الله عنه يقول انا فى بركة دعوة صدرت من على رضى الله عنه فى حقى.

وكان ابو حنيفة رضى الله عنه حسن السمت والوجه والشرب والنعل والمواساة لكل من طاف به ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من احسن الناس منطقا واحتراما لكلام الله ورسوله كان يدرس فى مجلسه التفسير والحديث فسقطت فى حجرة حية فقام الناس عنه فنفض الحية وهو فى مكانة لم يتغير فسئل فى ذلك فقال استحييت من الله ورسوله أن اقطع المجلس واقوم .. وعن أبى نعيم انه كان يقول كان ابو حنيفة حسن الوجه والثياب طيب الريح حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لاخوانه وكان عابداً زاهداً عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدًا وجه الله بعلمه.

فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة.

وقال على بن يزيد الصدانى رحمة الله رأيت أبا حنيفة ختم القرآن فى شهر رمضان ثلاثين ختمه بالليل والنهار.

وروى أنه كن يحيى نصف الليل وأشار إليه إنسان وهو يمشى وقال لغيره هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله .. وقال أنا أستحى من الله تعالى أن أوصف بما ليس فى من العبادة :

وقـد أنشـد فيه بعضهم :

للامام النعمان فضل عظيم
حيث للدين قد أقام منارا
سنه ضاحك ويغلن حزنـا
الهب الخوف فى الحشا منه نارا
لم يزل يكتم التهجد حتى
بات من خشية الاله منارا
ليلة قائم يصلى ويبكـى
فإذا جاء النهار صام النهارا
لو تراه إذا غفت كل عين
باكيا يسكب الدموع الغزارا
ان هذا هو الكريم على الله
له صير الجنـــان قرارا

وأما خوفه من الله فقد روى عن بشر بن الوليد كان ابو جعفر امير المؤمنين أرسل إلى أبى حنيفة واراد أن يوليه القضاء فابى فحلف

عليه ابو جعفر لتفعلن فحلف أبو حنيفه لا يفعل فقال الربيع لأبى حنيفة : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف فقال ابو حنيفة أمير المؤمنين أقدر منى على كفارة يمينه فأمر به إلى السجن فمات فى السجن ودفن فى مقابر الخيزران.

وفى موضع آخر أن أبا جعفر المنصور دعا أبا حنيفة وسفيان الثورى وشريكا فدخلوا عليه فقال لسفيان هذا عهدك على قضاء البصرة فالحق بها وقال لشريك هذا عهدك على قضاء الكوفة فامض إليها وقال لأبى حنيفة هذا عهدك على قضاء مدينتى وما يليها فامض اليها. وقال لحاجبه توجه معهم متوكلا بهم فمن ابى منهم فاضربه مائة سوط فاما شريك فانه تقلد القضاء واما سفيان فانه هرب إلى اليمن وأما ابو حنيفه فانه لم يقبل فضرب مائة سوط وحبس إلى أن مات رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة.

وروى أنه ذكر ابو حنيفه عند ابن المباكر فقال اتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها فنفر منها.

وروى عن محمد شجاع عن بعض اصحابه إنه قيل لأبى حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المؤمنين بعشرة آلاف درهم قال فما رضى ابو حنيفة فلما كان اليوم الذى توقع ان يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبه بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال من حضر لايكلمنا الا بالكلمة بعد

الكلمة أى هذه عادته فقال ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى ابو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه إذا مت ودفنونى فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبه فقل له هذه وديعتك التى أودعتها ابا حنيفة قال ابنة ففعلت فقال الحسن رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحا على دينه ، وأما علمه بطريق الآخرة وأمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فتدل على شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا.

وقد قال جريج بلغنى أن النعمان بن ثابت كان شديد الخوف من الله عز وجل.

وقال شريك رحمة الله تعالى كان ابو حنيفة رضى الله عنه طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من أوضح الأمارات على العلم النافع والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتى الصمت والزهد اوتى العلم كله.

ـــ علمه وفقهه :

يروى أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان يوما جالسا فى المسجد فدخل عليه طائفة من مقدمى الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا يا ابا حنيفة نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتعل قلبى قالوا كيف نغمدها ونحن

نحتسب الأجر الجزيل باغمادها فى رقبتك فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب احداهما رجل شرب الخمر فغصى فمات سكران والأخرى امرأة حملت من الزنا فماتت فى ولادتها قبل التوبة أهما كافران أو مؤمنان والقوم الذين جاءوا يسألون مذهبهم التكفر بذنب واحد فإن قال مؤمنان قتلوه .. فقال من أى فرقة كانا؟ من اليهود؟ قالوا لا ، قال من النصارى؟ قالوا : لا .. قال من المجوس؟ قالوا لا .. قال من عبده الأوثان؟ قالوا لا .. قال : ممن كانا؟ قالوا من المسلمين .. قال قد اجبتم. قال وكيف؟ قال قد أعترفتم انهما كان من المسلمين ومن كانا من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين قالوا هما فى الجنة أو فى النار.

قال اقول فيهما ما قال إبراهيم خليل الرحمن ﷺ فى حق من هو شر منهما فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم واقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم» فتابوا واعتذروا إليه وروى ان امرأة دخلت مسجده وهو جالس بين اصحابه فاخرجت تفاحه احد جانبيها أحمر والآخر اصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فأخذها ابو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف اصحابه مرادها فسألوه عن ذلك فقال لهم انها ترى الدم تارة أحمر مثل احد جانبى التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب

الآخر ايهما يكون حيضا أو طهرا فشققت التفاحة وأريتها باطنها وأردت بذلك إنها لا تطهر حتى ترى البياض مثل باطنها فقامت.

قد غدا فى الزمان اسمى وأعلى
زاده الله منه نبلا وفضلا
صار فى مجمع العلوم الى حد
التسامى فليس يلحق أصلا
ذو بيان ما أشكل الخطب الا
حله فقهه على الفور حلا
وغدا فى السماح مثل سحاب
لمعت نار برقه فاستهلا
حل أرض العراق فاعتاض منه
أهلها العلم فارتووا منه نهلا

● **تواضعه :**

قال ابو حنيفه دخلت البصرة فظننت أن لا اسأل عن شيء الا أجبت عنه فسألونى عن اشياء لم يكن عندى فيها جواب فجعلت على نفسى أن لا أفارق حمادا فصحبته عشرين سنة قال وما صليت صلاة واستغفرت لحماد مع والدى ولكل من قرأت عليه.

وحدثنا صالح بن محمد عن يوسف بن رزين عن أبى حنيفة رضى

الله عنه قال رأيت فى المنام كأنى نبشت قبر رسول الله ﷺ فأخرجت عظاما فاحتضنتها قال فهالتنى هذه الرؤية فدخلت على ابن سيرين قصصتها عليه فقال إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد ﷺ وحدثنا يوسف بن الصباغ قال : قال لى رجل رأيت كأن أبا حنيفة نبش قبر النبى ﷺ فسألت عن ذلك ابن سيرين — ولم أخبره من الرجل — قال هذا رجل يحيى سنة رسول الله ﷺ وكان ابو حنيفة رضى الله عنه يقول ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن اصحابه اخترنا منه ولم نخرج عن قولهم وما جاءنا عن التابعين منهم رجال ونحن رجال وما غير ذلك فلا يسمع لقد أيد الله الامام بعلمه.

ومن تواضع الامام ورجوعه إلى الحق ما رواه وكيع قال : قال لى ابو حنيفة : أخطأتُ فى خمسة أبواب من المناسك ، فعلمنيها حجام.

وذلك انى حين أردت أن احلق رأسى وقفت على حجام فقلت له بكم تحلق رأسى؟ فقال أعراقى أنت؟ قلت : نعم. قال : النسكُ لا يشارط عليه. اجلس فجلست منحرفا عن القبله فقال لى : حرك وجهك إلى القبله وأردت أن أحلق رأسى من الجانب الأيسر فقال :

ادر الشق الأيمن من رأسك فأدرته وجعل يحلق وأنا ساكت فقال لى: كبر، فجعلت أكبر حتى قمت لاذهب فقال لى اين تريد؟ فقلت : رحلى قال : صل ركعتين ثم امض. فقلت ما ينبغى أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام فقلت له : من أين لك ما امرتنى به. قال : رأيت عطاء بن ابى رباح يفعل هذا. ذكره المحب الطبرى.

وأما تأدبه فى مجالسة العلماء فقد روى عبد العزيز الدراوردى قال رأيت ابا حنيفة ومالك بن أنس فى مسجد رسول الله ﷺ بعد العشاء الآخرة وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا وقف احدهما على القول الذى قال به أمسك الآخر من غير تعنيف ولا تغيير ولا تخطئة حتى صليا الغداة فى مجلسهما ذلك رضى الله عنهما.

وأما إنصافه واعترافه فانه رضى الله عنه كان يقول قولنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء باحسن منه فهو أولى بالصواب واما قيامه لله تعالى حق القيام فانه كان إذا رأى منكر أذهب ذلك اللين شدة واحمرت عيناه وانقلبتا فى أم رأسه وانتفخت أوداجه وما رأى منكرا قط الا أزاله ولقد خرج يوما فرأى بعض الملاهى مع رجل فهاوشه فأوجعه الرجل ضربا ولم يعرفه وهو مع ذلك يحرص على كسر

ذلك حتى كسره ورجع إلى بيته فمكث شهرين منقطعا فى بيته من شدة الضرب.

وقال الخطيب قيل لسفيان الثورى ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ما سمعته يغتاب عدوا له قط قال هو والله اعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها وقال على بن عاصم رحمه الله لو وزن عقل ابى حنيفة بعقل نصف أهل الأرض لرجح بهم وأما تأدبه مع السلف فيروى إنه سئل رضى الله عنه عن علقمه والأسود أيهما كان أفضل فقال والله ما بلغ قدرى أن اذكرهما إلا بالدعاء والاستغفار واجلالا لهما ولا افضل بينهما.

وأما كرمه رضى الله عنه فقال قيس بن الربيع كان ابو حنيفه يجمع ما يكتسبه من بضائعه فيشترى به الكسوة للمشايخ المحدثين وما يحتاجون إليه ويقول احمدوا الله تعالى فهو الذى اعطاكم فوالله ما اعطيتكم من مالى شيئا.

وكان رضى الله عنه إذا جلس إليه الرجل يسأل عنه فإن كان به فاقه أعطاه فجلس إليه رجل عليه ثياب رثه فلما تفرق الناس عنه أمره بالقعود حتى خلا به فقال له ارفع هذا المصلى وخذ ماتحته، الف

درهم أصلح بها حالك فقال الرجل : انا موسر وأنا فى نعمة فقال له : اما بلغك الحديث إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده فينبغى لك أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك. لأبى حنيفة فى العلوم منار مُلئت بها الافاق والاقطار شيخ البرية فى العلوم ومن له تروى المناقب عنه والاخبار فتعبد لله طول حياته وعليه منه سكينة ووقار قد كان يحيى ليلة متهجدا وله بكل وظيفة أذكار وعطاؤه قد كان سحافى الورى وله بذاك على الانام فخار وكان رضى الله عنه لا يكلمه احد فى حاجة الا قضاها وأما روعه عما دخله الشبه فعن حفص بن عبد الرحمن وكان شريك أبى حنيفة أن ابا حنيفة كان يتجر عليه ويبعث اليه بمتاع ويقول له فى ثوب كذا عيب فبين إذا بعته فباع حفص المتاع ولم يبين ونسى فلما علم ابو حنيفة ذلك تصدق بثمن الثياب كلها.

ومن روعه رضى الله أن شاة سرقت فى عهده فلم يأكل لحم شاة مرة تعيش الشاة فيها.

وروى أن الخليفة دعاه فقال يا ابا حنيفة كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر فقال أربع فقال الخليفة اسمعى يا حره.

فقال ابو حنيفة على البديهه يا امير المؤمين لا يحل لك الا واحدة غضب الخليفة وقال الآن قلت اربع فقال يا أمير المؤمنين قال الله تبارك وتعالى «انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ان لاتعدلوا فواحدة» فلما سمعتك تقول اسمعى يا حره عرفت أنك لا تعدل لهذا قلت لا يحل لك الا واحدة فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه الف دينار وأنفدت تشكره وتثنى عليه فلم يقبلها ابو حنيفة وردها وقال للرسول قل لها أنا ما تكلمت لأجلك وما تكلمت الا لأجل الله فأجرى على الله.

وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة .. قال الخطيب كان ابو حنيفة إذا انفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وإذا اكتسى ثوبا جديدا كسا بقدر ثمنه العلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه على الخبز بقدر ما يؤكل ثم يطعمه لانسان فقير ولمن فى بيته يحتاج إليه وكان يؤثر رضا ربه على كل شىء ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل وكان دائما يتمثل بهذين البيتين.

عطاء ذى العرش خير من عطائكمو
وفضله واسع يرجى وينتظر

تكدرون العطا منكم بمنتكم

والله يعطى فلا مَنٌّ ولا كدر

وقال محمد بن الحسين الليثى قدمت الكوفة فسألت عن أعبد أهلها فدُفعت إلى أبى حنيفة وعن محمد بن الحسن قال حدثنى القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضى الله عنه قرأ هذه الآية «بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر» فلم يزل يرددها ويبكى ويتضرع إلى أن طلع الفجر.

وقال أسد بن عمرو صلى ابو حنيفة رضى الله عنه الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان يُسمع بكاؤه بالليل حتى يرحمه جيرانه.

وقال ابن ابى زائده صليت مع ابى حنيفة العشاء الآخره وخرج الناس وأنا فى المسجد أريد أن اسأله عن مسألة وهو لا يعلم إنى فى المسجد فقرأ حتى بلغ إلى قوله تعالى «ووقانا عذاب السموم» فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر.

ويروى انه من شدة خوفه سمع قارئا يقرأ ليلة فى المسجد إذا زلزلت الأرض زلزالها فلم يزل قابضا على لحيته إلى الفجر وهو يقول تجزى بمثقال ذرة فرحمة الله وبركاته عليه.

وأما وفاته فقد حدثنا أحمد بن كامل وعبد الباقى ابن قانع قالا توفى ابو حنيفة رضى الله عنه ببغداد فى رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وبلغ سبعين سنة .. قيل أنه سقى السم فمات رحمة الله عليه.

وأما رؤيته بعد الموت فحدثنا جعفر بن الحسن قال : رأيت أبا حنيفة فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى.

وعن على بن الحسن قال حدثنا على بن مسلمة قال سمعت عبد الحميد بن عبد الرحمن الجمانى يقول رأيت فى المنام كأن نجما سقط من السماء فقيل ابو حنيفة ثم سقط نجم آخر فقيل مسعر ثم سقط آخر فقيل سفيان فمات أبو حنيفة قبل مسعر ثم مات مسعر قبل سفيان.

● **مناجاة :**

الحمد لله الذى فتح اقفال الصدور بمفاتيح السرور والأفراح وحصى نسيم السحر بطيب الهبوب فاحيا به القلوب والارواح سقى بساتين قلوب أوليائه بغيث جوده ونعمائه فانبسط جزيل عطائه وساح انطق بلابل تمجيدهم على أغصان توحيدهم فاثنت بشكر معبودهم فى المساء والصباح عطر ازهار اسرارهم بانفاس أذكارهم

ففاح اريجها الفياح جمعهم تحت خيمة الليل فى حضرة قربه .. وروق لهم شراب حبه وسقاهم بكؤوس السماح.

الحمد لله المعروف بالقدم قبل وجود الوجود الموصوف بالكرم والفضل والجود المنزه فى وحدانيته عن الابناء والأباء والجدود فى ذاته عن الصاحبة والمصحوب والولد والمولود العليم باعداد الرمل والقطر وحبات السنبل والعنقود البصير بحركات الذر فى البحر والبر تحت ظلام البر بحور والليالى السود الحكيم الذى فجر الانهار من صميم الجلمود واخرج رطب الثمار من يابس العود لا تمثله الافكار ولا تحويه الاقطار ولا ينهيه المقدار ولا تدركه الابصار وهو الواحد المعبود المعطى الذى لا مانع لما اعطى ولا دافع لما قضى الكريم الذى جاد لعبده بجزيل رفده وكم رآه عن بابه معرضا ، الحكيم الذى ستر العاصى بحلمه ورأفته وقد رآه لمعصيته متعرضا الغفار الذى يغفر الذنوب ويستر العيوب ويعفو عما مضى، القهار الذى قهر الجبابرة وكسر الاكاسرة فسبحان من حير الافكار فى مدارك سبحات جلاله العظيم وأذهل العقول عن الوصل إلى كنه ذاته القديم واخرس الألسن عن عبارات اشارات سر أفعاله بعد الفصاحه والتكليم وأدهش الخواطر عن الاحاطة به فلا يراه بالتوهيم فهو الكريم الماجد القديم الواحد المنزه عن الولد والوالد ، المقدس عن المشارك والمساعد المتعالى عن المشابه

والممثل والمضاد والمعاند المشكور على جميع النعم المحمود بجميع المحامد الذى اسبل ستره الجميل على عبده العاصى الذليل وهو اليه ناظر ومشاهد فهو المعروف بالربوبية الموصوف بالألوهية المنفرد بحقيقة الوحدانية تنزه عن الأوهام الخيالية وتعزز فى بقائه عن الفناء والمثاليه عالم بكل خفية وجلية حارت العقول فى عظمته فما عرفت له أسِنيه وكلت الأفكار عن إدراك صمديته فلا تعرف العلوم العقلية فسبحانه من إله تعالى عن المماثل والمناسب وجل عن المشارك والمصاحب يقبل التائب ويجيب الآيب وليس على بابه بواب ولا حاجب.

فسبحانه من إله شهدت له السموٰات وما فيها من العجائب واقرت بربوبيته الارضيون فى مشارقها والمغارب واصطفى محمداً ﷺ نبيه المبعوث بالدين الواجب الموصوف باحسن الأوصاف واجل المناقب الذى شرف الله به الوجود وكمل به السعود وبلغه اسمى المطالب والمآرب واختار اصحابه بالنجباء وخلفاءه الكرماء الاخيار الاطايب وخص التابعين لهم باحسان من أمته القائمين بشريعة الاسلام على توالى الزمان.

مناقب الامام مالك بن أنس رضى الله عنه روى الحافظ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتاب الانساب، إن الإمام مالك بن أنس

ابن ابى عامر الاصبحى رضى الله عنه كان إمام دار الهجرة وفيها ظهر الحق وانتصر وقام الدين واشتهر ومنها فتحت البلاد وتواصلت الامداد وسمى عالم المدينة وانتشر علمه فى الامصار واشتهر فى سائر الاقطار وضربت له أكباد الابل وارتحل الناس إليه من كل فج فانتصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عشرة سنة فاحتاج اشياخه اليه وعاش قريبا من تسعين سنة ومكث يفتى الناس ويعلمهم نحوا من سبعين سنة وشهد له التابعون بالفقه والحديث.

فالحمد لله الذى جعل العلم للعلماء سببا وأغناهم به وان عدموا أما ونسبا ولاجله فاز إدريس عليه السلام بالجنة ورفعه الله واجتبى ولطلبه قام الكليم ويوشع وانتصبا فسار إلى أن لقيا فى سفرهما نصبا إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا وبسببه خلق الله آدم للبشر أبا وأمر الملائكة للسجود له فسجدوا الا إبليس أبى واستخرج من ذريته قبائل وشعبا وأجرى عليهم قلم القضاء وجعل لكل شىء سببا ووفق أهل العلم بعنايته فقاموا فى خدمته زغبا ورهبا وفقهم وعرفهم احكامه فاحرزوا به مزايا وجعلهم فى الدنيا كالأعلام وهداة للأنام فاكتسبوا به مجدا وأدبا وقذف فى قلوبهم أنواراً يرون بها من المشكلات ما كان بعيدا واحتجبا وكساهم به عز وجلاله وسمتا ومهابة فغدا كل منهم مكرما ومجتبى وأذاقهم

حلاوة واحكامه فما وجدا فى سفر طلبه تعبا فإذا وفدوا إليه فى القيامة ألبسهم تيجان الكرامة وناداهم .اهلا وسهلا ومرحبا احمده حمداً اتخذه للنجاة سببا واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة اهتز بها طربا واشهد ان محمداً عبده ورسوله النبى المصطفى والرسول المجتبى ﷺ وعلى آله وصحبه وازواجه وذريته البررة النجباء صلاة وسلاماً دائمين ما هطلت السماء بوابلها وابدت سحبا.

لقد روى عن الامام مالك نخبة من الأبذاذ الذين كان لهم فضل عظيم فى الفقه والحديث.

وممن روى عنه محمد بن شهاب الزهرى امام السنة وربيعة بن عبد الرحمن فقية أهل المدينة ويحيى بن سعيد الانصارى وموسى بن عقبه وهؤلاء كلهم اشياخه.

وروى عنه وناول فيه التابعون وتابعوهم انه العالم الذى بشر به النبى ﷺ فى الحديث الذى رواة الترمذى وغيره وهو قوله ﷺ ينقطع العلم فلا يبقى عالم أعلم من عالم المدينة.

وفى حديث آخر ليس على ظهر الدنيا أعلم منه فتضرب إليه اكباد الابل وفى حديث آخر يوشك الناس أن يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة قال ابو مصعب كان الناس

يزدحمون على باب مالك لطلب العلم.

قال يحيى بن شعبه دخلت المدينة سنة اربع واربعين ومائة ومالك اسود الرأس واللحية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة له ولا يفتى أحد فى مسجد رسول الله ﷺ غيره فجلست بين يديه فسألته فحدثنى فاستزدته فزادنى ثم عززنى اصحابه فسكت وقال مالك رضى الله عنه ما جلست للفتيا والحديث حتى شهد لى سبعون شخيا من أهل العلم انى مستحق لذلك.

وكان رضى الله عنه أمينا على العلم ذا بصيرة نافذة وفهم عميق وفكر ثاقب ورأى صائب.

اتفق أن امرأة توفيت بالمدينة فغسلتها غاسلة فلصقت يدها على فرجها فاحتاروا فى أمرها هل يقطعون يدها؟ أو يقطعون جزءاً من لحمها؟ فاستفتوا الامام مالكا رضى الله عنه فقال : أرى عليها حداً فجلدوها واقاموا عليها حد القذف والسب وبعد ذلك خلصت يد الغاسله فهذا سبب قولهم : لايفتى ومالك بالمدينة.

إذا رفع الزمان مكان شخص

وكنت احق منه ولو تصاعد

ان له حق رتبته تجده
ينيلك إن دنوت وإن تباعد
ولا تقل الذى تدريه فيه
تكن رجلا عن الحسنى تقاعد
فكم فى العرس أبهى من عروس
ولكن للعروس الدهر ساعد

قال حماد بن زيد لرجل جاء فى مسألة اختلف الناس فيها يا أخى أن اردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة واصغ الى قوله فانه حجة مالك بن آنس امام الناس ... وقال حماد بن سلمة لو قيل لى اختر لامة محمد ﷺ إماما يأخذون عنه دينهم لرأيت مالكا لذلك مرضعا واهلا ورأيت ذلك صلاحًا للأمة.

وقال الليث بن سعد علم مالك علم نقى علم مالك أمان لمن أخذ به من الآثام،وكان عبد الرحمن بن القاسم يقوم انما اقتدى فى دينى برجلين مالك فى علمه وسليمان بن القاسم فى ورعه.

وحدث محمد بن عبد الحكم قال سمعت محمد بن أبى السرى العسقلانى يقول رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت يا رسول الله

حدثنى بعلم احدث به عنك فقال ﷺ قد أوصيت الى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت له يا رسول الله ﷺ حدثنى بعلم احدث به عنك فقال انى أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ يا ابن السرى إنى قد وصيت إلى مالك بن أنس بكنز يفرقه عليكم.

وكان الامام مالك من الذين يعتزون بالاسلام ويحرصون على اكرام العلم واعزازه وصيانته ورفعته، ذكروا ان هارون الرشيد لما نزل بالمدينة المنورة ارسل إلى الامام مالك ليزوره فى قصره ويقرأ عليه الموطأ، فقال الامام مالك لمبعوث الرشيد قل له ان العلم يزار ولا يزور ويؤتى إليه ولا يأتى فلما ذهب الرشيد إليه أراد الأمام مالك ان يلقنه درسا فى احترام العلم وتوقير العلماء فقال له :

يا امير المؤمنين اخبرنى الزهرى عن خارجه بن زيد بن ثابت عن أميه قال كنت اكتب الوحى بين يدى النبى ﷺ فكتبت لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم .

وكان ابن ام مكتوم عند النبى ﷺ فقال يا رسول الله انى رجل ضرير وقد أنزل الله تعالى فى فضل الجهاد ما قد علمت فقال النبى ﷺ لا أدرى (وقلمى رطب ما جف حتى ثقل فخذ النبى ﷺ على).

ثم نزل الوحى فجلس النبى ﷺ ثم قال يا زيد اكتب (غير أولى الضرر) يا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة من فوق السموات العلى الا ينبغى لى أن أعزه وأجله وان الله تعالى رفعك وجعلك فى هذا الموضع فلا تكن انت أول من يضع عن العلم فيضع الله عزك يا أمير المؤمنين إن أردت أن تسمع منى العلم فتعال الى مسجد رسول الله ﷺ وإياك أن تأتى متأخرا فتتخطى رقاب العباد.

فلما جاء هارون الى المسجد النبوى الشريف أمر بكرسى فجلس عليه والناس قعود على الأرض فلمح الأمام مالك ذلك المشهد فبدأ حديثه قائلا من تواضع لله رفعه ومنن تكبر وضعه الله وفهم هارون ماذا يريد الامام فنزل عن كرسيه وجلس على الأرض ولما هم هارون بالسفر الى بغداد عرض على الأمام مالك أن يسافر معه الى هناك ويقيم فى قصر منيف فقال له الأمام والله لا أرضى بجوار رسول الله ﷺ بديلا فانصرف الرشيد

ــ الزهد عند الإمام مالك

لما اشتهر الامام مالك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكره فى البلاد حملت اليه الأموال لانتشار علمه فكان يفرقها على اصحابه واصحابه يفرقونها فى وجوه الخير موافقة لفعله وما كان رجلا صادقا فى حديثه لا يكذب الا متعه الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولا خوف.

ــ اخلاصه لله تعالى

من اخلص قلبه لله اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم.

قال جل شأنه فوجد عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما،جاء فى الحديث الصحيح لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال: الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو تُرى له.

ولما كان الامام مالك رضى الله عنه من الذين اعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله (نحسبه كذلك ولا نزكى على الله احداً والله حسيبه).

لما كان ذلك كذلك فقد شهد له رجال لهم وزنهم فى مجال الاخلاص والثقة.

قال عمر بن ابى سلمه رحمه الله ما قرأت كتاب الجامع من موطأ مالك الا اتانى آت فى المنام فقال لى هذا كلام رسول الله ﷺ حقا وقيل ان مالكا رضى الله عنه لما اراد أن يؤلف كتابه بقى متفكرا فى أى شيء يسمى به تأليفه ، قال : فنمت فرأيت النبى ﷺ فقال وطيء للناس هذا العلم فسمى كتابه الموطأ.

وقال عبد الله بن المبارك كنا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما انصرف الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت اليوم منك عجبا قال نعم صبرت اجلالا لحديث رسول الله ﷺ.

وقال مصعب بن عبد الله رحمه الله كان مالك إذا ذكر النبى ﷺ يتغير لونه حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له فى ذلك فقال لو علمتم ما أعلم ما انكرتم على شيئا، وكان يكره ان يحدث فى الطريق أو وهو قائم أو مستعجل ويقول احب أن اعظم حديث رسول الله ﷺ.

ــ رؤيا صادقــة

من أقوال الرسول ﷺ من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فإن الشيطان لا يتمثل بى قال بعض الصالحين رأيت فى المنام انى دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت النبى ﷺ يعظ الناس إذ دخل عليه مالك فلما رآه النبى ﷺ قال إلى إلى فاقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله ﷺ خاتمه من أصبعه فوضعه فى خنصر مالك رضى الله عنه فأولته العلم وضمه النبى ﷺ إليه.

وكان رضى الله عنه يقتدى العلماء بعلمه والامراء تستضىء برأيه والعامة منقادة إلى قوله فكان يأمر فيُمتثل امره بغير سلطان ويقول فلا يسأل عن دليل على قوله يأتى الجواب فما يجرؤ أحد على مراجعته ولذلك قال فيه بعض محبيه

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة
والسائلـون نواكس الأذقـان
ليس الوقار وعز من سلطان
فهو المطاع وليس ذا سلطان
انما يخشى الله من عباده العلماء

هذه والله صفات العلماء الذين تبكى على فقدهم الأرض والسماء وترحم بهم العباد وتأمن بهم البلاد فهم العلماء الزهاد أهل الأخلاص والسداد حنت اليهم القلوب وانقادت اليهم النفوس وذللت لهم الصعاب وخضعت لهم الرؤوس فهم فى الأقطار كالأقمار والشموس لاجرم جاد ذكرهم مدونا فى الضروس.

سئل رضى الله عنه عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى.

فاجاب السائل اجابة ادق من ميزان الذهب.

قال الاستواء معلوم والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة والايمان به واجب ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ فانه تعالى كان ولا مكان وهو على ما كان قبل خلق المكان لم يتغير عما كان.

كان الأمام مالك رضى الله عنه كثير الصلاة والأذكار والاوراد فى الاسحار والدرس فى العلوم والتكرار فجاء مدحه على لسان النبى المختار، ما مدح مالك بذلك حتى سلك اصعب المسالك واقتحم فى صلبه جميع المهالك.

ـــ مناقــب الشــافعى :

وينتقل بنا الحديث الى الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه الذى ملأ طباق الأرض علما فهو عالم قريش المعروف بفقهه وحكمته وزهده وورعه والذى له من الفضل ما شهدت به الدنيا عندما قال النبى ﷺ (عالم قريش يملأ طباق الأرض علما).

ـــ مولــــده :

ولد رضى الله عنه بغزة من بلاد فلسطين ومات عنه ابوه وهو ابن سنتين فحملته امه الى مكة شرفها الله تعالى فنشأ وترعرع بها وجالس أهل العلم وفتح الله عليه من العلم ما لم يفتح على غيره حتى كان مسلم بن خالد ، الزنجى مفتى مكة يحثه على الفتوى وهو ابن خمس عشرة سنه ويتصل نسبه الى عبد مناف، وعنده يلتقى النبى ﷺ وسافر.

حبه السفر لطلب العلم :

كان رضى الله عنه يحب السفر فى سبيل العلم والتعليم وقد آتاه الله الحكمة فنظمها شعرا فجاءت قصائده كأنها باقات العطور وهالات النور وأكاليل الزهور وتيجان السرور وكنوز الدر المنثور.

ـ قال فى السفر

ما فى المُقام لذى عقل وذى أدب
من راحة فَدَعْ الأوطان واغترب
سافر تجد عوضا عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب
إنى رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وإن لم يجر لم يطب
الاسد لولا فراق الغاب ما افترست
والسهم لولا فراق القوس لما يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب
والتبر كالترب ملقا فى اماكنه
والعود فى أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه
وأن تغرب ذاك عز كالذهب

ومن حكمه التى صاغها شعرا فجاءت كالدر المنثور قوله فى قصيدة له :

إذا المرء لا يلقاك الا تكلفا
فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففى الناس ابدال وفى الترك راحة
وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواها يهواك قلبه
ولا كل من صافيته لقد قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلا خير فى ود يجىء تكلفا
ولا خير فى خل يخون خليله
ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده
ويظهر سرا كان بالأمس فى خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها
صديق صدوق يصدق الوعد منصفا

وقد سافر الى بغداد فأقام بها سنتين ثم عاد إلى مكة فأقام بها اشهرا ثم خرج إلى مصر ومات بها رضى الله عنه ونسبه يتصل بعبد مناف جد رسول الله ﷺ فهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع.

وكان رضى الله عنه يقسم الليل على ثلاثة أقسام ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم.

وكان رضى الله عنه يقرأ القرآن بتدبر وحضور قلب وخشوع وتذكر فكان إذا مر بآية من آيات الرحمة سأل الله تعالى الانابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب الا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين وكان الشافعى رضى الله عنه يقول ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنه ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

ومن مناقبه قوله ما حلفت بالله فى عمرى لا كاذبا ولا صادقا.

وكان من اقواله رضى الله عنه : من ادعى انه جمع حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب.

ومن نعم الله تعالى على الشافعى انه كان صاحب فطنه وسرعة إدراك وحضور بديهة وقوة حجة، كان راجح العقل متوقد الذكاء جاء إلى الامام مالك بن أنس فعرض عليه أن يقرأ الموطأ ولما سمعه الامام مالك منه استحسن قراءته ثم جاءه بعد ذلك وعرض عليه أن يسمعه

اياه فاستجاب الامام مالك فإذا بالشافعى يقرأه له عن ظهر قلب بعد ما حفظه حفظا جيدا فدعا له مالك بالبركة وسر منه سرورا عظيما وقد ذكروا ان مالك بن أنس كتب ذات يوم على سارية من سوارى المسجد من اراد العلم النفيس فعليه بمحمد بن ادريس فلما قرأها الامام الشافعى كتب تحتها :

كيف ذلك وهو تلميذ مالك

وقد ذكروا ان عينه وقعت ذات يوم على كعب امرأة خطأً فعظم ذلك عليه وفتح الكتاب ليحفظ فثقل عليه الحفظ فذهب إلى وكيع بن الجراح يشكو له ما حدث وقال فى ذلك:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى
فارشدنى إلى ترك المعاصى
واخبرنى بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصى

حكوا عنه انه نزل ضيفا على الامام احمد بن حنبل وبات عنده ليلة فلما صلوا الفجر قالت بنت الامام احمد لأبيها يا ابتاه لقد أخذت على الامام الشافعى ثلاثة أمور أولها : أنه لما قدمنا له طعام

العشاء أكل كثيرا وأنه لم يقم من الليل وأنه صلى الفجر ولم يتوضأ.

فعرض الامام احمد هذه المسائل على الشافعى فقال له :

أما أننى أكلت كثيرا فلأننى أعلم ان طعامك من حلال وأن بيتك بيت الورع فلم آكل لأرد الجوع انما أكلت للاستشفاء فطعام الكريم دواء وطعام البخيل داء، واما أننى لم اقم من الليل فلأننى لما أخذت مضجعى فتح الله على باثنتين وسبعين مسألة من مسائل العلم من كتاب الله وسنة رسوله والعلم افضل العبادات وأما أننى لم أتوضأ لصلاة الفجر فذلك لأننى صليته بوضوء العشاء فدعا له ابن حنبل بالتوفيق والبركة.

ـ زهده وسخاؤه

كان رضى الله عنه أجود من الريح المرسله يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وكأنه المعنى بقول القائل :

تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى انت نائله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

كان اسخى من الصيب الوابل واعظم كرما من الانواء.

روى الحميدى أن الشافعى رضى الله عنه خرج الى اليمن فى بعض اشغاله ثم انصرف إلى مكه ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكه فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى انفقها جميعها.

ومن مناقبه رضى الله عنه الحلم وكرم النفس فقد تأسى فى اخلاقه وسلوكه وعبادته بسيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذى نزل عليه جبريل ذات يوم بقوله تعالى «خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين» فسأله النبى ﷺ عنها فقال جبريل لا ادرى حتى أسال رب العزة ثم هبط على الهادى البشير وقال له السلام يقرؤك السلام ويقول لك صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك.

وفى هذا المجال يذكرون ان الشافعى ذهب ليخيط ثوبا ولم يكن الحائك يعرف انه الشافعى فاضمر له فى نفسه سخريه فخاط له الكم الايمن ضيقا والايسر واسعا فلما لبس الامام الثوب ابتسم وقال اما الأيمن فاننى اشمره عند الوضوء واما الأيسر الواسع فأضع فيه كتب العلم، كل هذا والخياط يسمع ويرى ويعجب لكلام الشافعى

وإذا برسول الخليفة يدخل على الشافعى فى محل الخياط ويقول له إن الخليفة قد ارسل لك بهذا القدر من المال وهو الف درهم وإذا بالشافعى يقول لرسول الخليفة ادفع تلك الدراهم كلها إلى الخياط اجرة ما خاط لى الثوب فسأل الخياط رسول الخليفة من هذا؟ فأخبره بانه الشافعى وإذا بالخياط يرتجف وكأنه على ساحل بحر لا شاطىء له فاعتذر للامام عما بدر منه ولزم مجالسه وخدمته واصبح من تلاميذه المقربين. ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميد.

انتهى بحمد الله وتوفيقه

عبد الحميد كشك

طبع بمطابع المروة بالأسكندرية
تليفون : ٤٣٠١٣٤٨ ـــ ٤٣٠١٣٤٩

